صفات الأصوات العربية بين القديم والحديث

أ. عفاف الطاهر شلغوم
قسم اللغة العربية – كلية الآداب– الزاوية
جامعة الزاوية

مقدّمـــة:

على الرغم من افتقار الدراسة الصوتية القديمة إلى تقنيّات التشريح الحديثة لجهاز النطق عند الإنسان، فإنّ العلماء قديماً كانوا يتمتّعون بحسّ لغوي مرهف، وعلى رأسهم العالم الأصوتي الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ)، ولاشكّ أنّ علمه بالموسيقى قد زاده إدراكاً للعملية الصوتية والتي نقلها عنه تلميذه سيبويه (188هـ) وأفاض، كذاك ابن جني (392هـ) وابن سينا (428هـ) وغيرهم. والمحدثون اعتمدوا على التقنيّات لتأسيس علم حديث مبنيّ على الملاحظة والتجربة. تسعى هذه الدراسة إلى معرفة مدى توافق التقنيات مع ما توصّل إليه القدماء، ومدى اختلافها. وهل ما اختلف منه مردّه إلى دقّة التقنية في تجلية الحقائق؟ أو مردّه إلى التطوّر

اللغوي عبر الزمن؟ هذه الدراسة تدور حول **صفات الأصوات بين القدامى والمحدثين**، وهي دراسة مقارنة بين جهود القدماء الذاتية وبين ما توصّلت إليه الجهود العلمية الحديثة والرؤى الحديثة للنصوص القديمة في مجال صفات الأصوات العربية. وقد قسمتها على محورين، الأول يكون حول صفات الأصوات عند القدامى، والثاني صفات الأصوات عند المحدثين، ثم نتائج الدراسة وتتضمن أوجه التقارب والاختلاف بينهما.

أ. صفات الأصوات عند القدماء:

تمكّن العرب بالإحساس اللغوي من تحديد صفات الأصوات والموازنة بينها في دقّة متناهية، من ذلك قول الخليل: لولا بحّة في الحاء، لأشبهت العين؛ لقرب مخرجها منها، ولولا هتّة في الهاء، لأشبهت الحاء[1]. وهذه الصفات هي:

1. الصامت والمصوت (الصحاح والجوف):

يعدّ ابن سينا أوّل من اصطلح ذين المصطلحين في الدراسات القديمة[2]. واستخدم الخليل مصطلح الصحاح وهو مصطلح صرفي، يقابله الجوف أو الهوائية، وهما مصطلحان صوتيان أكثر ملاءمة من الصحاح في المجال الصوتي، قال: في العربية تسعة عشر حرفاً منها خمسة وعشرون صحاحاً وأربعة أحرف جُوف[3]، وقال: الصحيح هو ما خلت أحرفه من العلل وهي الألف، والياء، والواو، والهمزة، عندما تحدّث عنها في المجال الصرفي[4]. واصطلح عليها ابن جنّي في هذا الموضع بالصحاح والعلل.[5]

2. الجهر والهمس:

لم يعرّف القدامى الجهر والهمس، ولكنّهم عرّفوا المجهور والمهموس، قال سيبويه: "المجهور هو حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتّى ينقضي

الاعتماد عليه ويجري الصوت"[6]، وعدّها تسعة عشر حرفاً، وهي: الهمزة، والألف، والعين، الغين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الدال، الزاي، الظاء، الذال، الباء، الميم، الواو[7].

أمّا المهموس، فقال سيبويه، هو: "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتّى جرى النفس معه"[8]، وعدّها عشرة أصوات، وهي: الهاء، الحاء، الخاء، الكاف، الشين، السين، التاء، الصاد، الثاء، الفاء[9]، ووسيلته في ذلك هي أن تمدّ الصوت بأحد أحرف المدّ؛ لتتمكّن من معرفة إشباع الاعتماد، أي قفل الأحبال الصوتية بشكل تام، وهو السبب الرئيس للجهر، أو عدم إشباعه، أي عدم قفل الأوتار الصوتية، وهو السبب الرئيس للهمس[10].

3. الشدّة والرخاوة:

الشديد: "هو الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه"[11]، وهي: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم، الطاء، التاء، الدال، الباء.

الرخو:

وعلى هذا فالرخو: هو الذي يسمح الصوت أن يُجرى فيه، وهو: الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الضاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال، الفاء[12].

بين الشديد والرخو:

الألف، العين، الياء، اللام، الراء، النون، الميم، الواو.[13] وقد ذكر سيبويه العين فقط[14].

4. المطبقة والمنفتحة:

أمّا المطبقة، فهي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء؛ لأنّه من مواضع نطق هذه الأحرف ينطبق اللسان ويرتفع إلى الحنك الأعلى. فينحصر الصوت بين اللسان والحنك الأعلى

ومواضعها فيسمع تفخيماً جليًّا للصوت بسبب هذا الإطباق. ولولا الإطباق، لصار الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولولا إطباق الضاد، لانعدم وجوده؛ لأنّه لا يكون في موضعها غيرها. [15]

وأمّا المنفتحة، فهي ما عدا المطبقة؛ لأنّه لا ينطبق اللسان من مواضعها إلى الحنك الأعلى[16]، فينحصر الصوت في مواضعها. ويعدّ الخليل الميم مطبقاً، ليس لأنّه يرتفع اللسان إلى الأعلى عند النطق به؛ بل لانطباق الشفتين[17].

5. الاستعلاء والتسفّل:

أمّا المستعلية، فهي سبعة أحرف: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الغين، القاف، الخاء. وهي أيضاً أحرف تسمّى بالاستعلاء والإصعاد؛ لأنّ اللسان يرتفع إلى أعلى الحنك عند النطق بها.[18].

أمّا حروف التسفّل، فهي ما عدا أحرف الاستعلاء، وهي اثنان وعشرون حرفاً: الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الكاف، الجيم، الشين، الياء، السين، الزاي، الدال، التاء، الثاء، الذال، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الواو، وتسمّى أيضاً بالانحدار؛ لأنّ اللسان يكون منحدراً إلى الأسفل عند النطق بها[19]. ويسمّيها ابن جنّي أحرف الانخفاض.[20]

6. القلقلة أو المشربة والنفخة أو الصفير:

وقد عرّف سيبويه القلقلة فقال: هي أحرف "مشربة ضُغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها صويت ونبا اللسان عن موضعه"[21]. وهذه الأحرف: القاف، الجيم، الطاء، والدال، الباء. ألا ترى إذا قلنا (الفلقْ) ووقفنا على القاف، فلابدّ أن يخرج معه ذلك الصويت وهو ناتج عن إزاحة اللسان المضغوط عن موضعه، فتحدث نحو تلك القلقلة.

أمّا النفخة، فهي أحرف مشربة بصوت زائد "إذا وقفت عندها، خرج معها نحو النفخة، ولم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي، الظاء، الذال، الضاد"[22]؛ لأنّ الصوت الناتج عن هذه الأحرف يجد منفذاً من بين الثنايا فتُسمع نحو تلك النفخة بعد تمام الصوت، ونفخة الضاد تنفذ من بين الأضراس[23]. وينتج عن تلك النفخة صفيراً من الشفتين فتسمّى أصوات الصفير[24].

7. الذلاقة والطلاقة والإصمات:

قال الخليل: "الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلّة اللسان والشفتين"[25]، وأحرف الذلق مخرجاً هي: الراء، اللام، النون، ولكنّها صفة تكون شاملة أحرف الشفاه: الفاء، الباء، الميم؛ لأنّ فيها جميعاً الذلاقة والسهولة والفصاحة، وعلى هذا فإنّ أحرف الذلق هنا ستّة: الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم. وعند ابن جنّي جميعها أحرف ذُلق؛ لأنّها من ذلق اللسان، وهو صدره وطرفه[26]. وهي لا يخلو حرف منها أو حرفان أو حتّى ثلاثة في اللفظ الرباعي والخماسي، وإلاّ جاء مولّداً مبتدعاً على غير العربية؛ لما فيها وفي لفظ الذلاقة من معنى السهولة والسرعة في النطق، فكثرت منها أبنية الكلام في العربية[27].

وأمّا الإصمات فهي "الأصوات التي أصمتت أن تختصّ بالبناء إذا كثرت حروفه؛ لاعتياصها على اللسان"[28]، وهي باقي الحروف[29] من غير حرفي الطلاقة وهما العين والقاف؛ "لأنّهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً"[30]؛ إذ قال الخليل: الصُّتم ما ليس من الحلق[31]. وسمّيت الصتم؛ لأنّ فيها صعوبة في النطق عن أحرف الذلق؛ وصمت عنها في البناء الرباعي والخماسي[32]؛ لذا لابدّ أن تمزج هذه الأبنية بأحرف الذلق لتسهيلها.

8. التفخيم والترقيق:

تعرّض سيبويه لمصطلح التفخيم في موضع واحد عندما وصف به صوت الألف وهو من الفروع المستحسنة في لغة أهل الحجاز، إذ قال: "وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في

قولهم الصلاة، والزكاة، والحياة"[33]. وقدّم ابن جنّي شيء من التوضيح إذ قال: "وأمّا ألف التفخيم، فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو".[34] وهو توضيح لا يغنينا عن معرفة تصوّر التفخيم عند القدماء. أمّا القرّاء، فهم يعرّفونه "عبارة عن ربو الحرف وتسمينه فهو والتغليظ واحد"[35] ذكر ابن الجزري (833هـ) أحرف التفخيم قديماً هي المستعلية كلّها واللام والراء والألف.[36] وأمّا الترقيق، فهي (من الرقّة ضدّ السمن وهو عبارة عن إنحاف ذات الحرف ونحوله".[37] وقد استخدمه القراء مقابلاً لمعنى التفخيم.

9. المنحرف:

ذكر سيبويه أنّه: صوت شديد جرى فيه الصوت؛ لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يُعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو صوت اللام. وليس هو كالرخو؛ لأنّ اللسان لا ينفكّ عن موضعه، ومع ذلك لا يخرج الصوت من موضع اللام، وإنّما ينحرف الصوت من طرفي مستدقّ اللسان فويق ذلك[38] على حدّ وصفه. وهو تصوّر أقلّ ما نصفه غاية في دقّة الإحساس والملاحظة لما يحدث عند النطق بصوت اللام. ووصف بها صوت الراء أيضاً؛ إذ قال: "وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام"[39]. فالانحراف صفة اللام والراء.

10. الغنّة:

صوت شديد يجري معه الصوت، ولكن من غير موضعه في اللسان، وإنّما جرى الصوت من الأنف، وهو النون، والميم[40] وتتمكّن من ذلك في حال تسكينهما، وتقلّ في تحريكهما. [41]

11. المكرّر:

وهو صوت شديد، ولكن يُجرى فيه الصوت لتكريره، ولولا تكراره، لكان صوت اللام، وهو صوت الراء[42].

12. المد واللين:

وهي صوت الألف، والياء، والواو. وربّما تكون الياء والواو ساكنين مفتوح ما قبلهما. أو يكون ما قبل الياء مكسوراً، وما قبل الواو مضموماً؛ أمّا الألف، فلا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحا؛ لأنّه لم يُفرّق بين أصوات اللين وهي الأولى، وأصوات المدّ وهي الثانية، إذ قال سيبويه: إنّ أحرف اللين هي أحرف المدّ[43]. وقد أُطلق على الصورتين صفة اللين؛ لأنّ مخرجها في الحالتين يكون أكثر اتّساعاً لهواء الصوت من غيرها، ووصفها سيبويه بأنّها خافية، فذكر أنّ هذه الأصوات أخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجاً.[44] أي أظهرهن، جاء في اللغة "خفا الشيء خَفْواً ظهر".[45] أمّا ابن جنّي، فقد سمّى العلل أحرف المدّ من دون اللين[46].

13. الهاويّة:

وهي صوت واحد، وهو الألف؛ لأنّ مخرجها أشدّ اتّساعاً لهواء الصوت من الياء والواو[47]. أمّا الخليل، فإنّه يصف أصوات اللين عنده، وهي الألف والياء والواو بأنّها هوائية[48].

14. التفشّي:

التفشّي هو الانتشار[49]. وهو هنا "انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين"[50] اتّفاقاً؛ "لأنّه تفشّى من مخرجه حتّى اتّصل بمخرج الطاء"[51]. وأفرد ابن جنّي هذه الصفة للضاد فقط،[52] وأعطى بعضهم هذه الصفة لأحرف أخرى، وهي: الضاد، والفاء، وآخرون الراء، والصاد، والسين، والياء، والثاء، والميم[53]. والصحيح أنّ هناك أحرف تتّصف بالتفشّي غير

الشين؛ لأنّه حتّى الذين أفردوا الشين قالوا إنّها من أحرف التفشّي[54]، ما يعني أنّ الشين ليس الوحيد في ذلك.

15. الاستطالة:

"المستطيل هو حرف الضاد؛ لأنّه استطال عن الفهم عند النطق به حتّى اتّصل بمخرج اللام"[55]. وأيضاً الشين، قال سيبويه: إنّ الشين حرف مستطيل؛ لأنّه استطال مخرجه؛ لرخاوته حتّى اتّصل بمخرج الطاء[56].

16. الهتّة والهشاشة والخفوت والخفاء:

المهتوت هو الهمزة والهاء اتّفاقاً والتاء، قال الخليل: إنّ الهمزة مخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة. وقال لولا هتّة في الهاء، لأشبهت الحاء[57]؛ لما فيها من الضعف والخفاء، وقال ابن الحاجب (ت646هـ): التاء مهتوتة لخفائها[58]. ووصفها الخليل بخفوتها؛ لأنّ الدال ارتفعت عن خفوت التاء،[59] كذاك وصف الزاي عندما شبّهها بالدال، قال: "وصارت حال السين بين الصاد والزاي كذالك[60]. ومن أخفى الحرف عند سيبويه الألف والياء والواو والهاء والهمزة.[61] وأفرد ابن جنّي الهتّة للهاء فقط[62]. والهتة في اللغة "شبه العصر للصوت"[63] ما يعني أن النطق بالصوت المهتوت يتطلّب كلفة عضلية ومجهوداً أكثر من غيره، ومن جهة أخرى في غير هذا الموضع يصف الهاء أنّها ليّنة وهشّة، وهي نفس لا اعتياص فيها،[64] ما يعني أنّ الهاء تكون مهتوتة في موضع، وتكون هشّة ليّنة في غيرها، كما هو حال الهمزة التي وصفها أنّها مهتوتة في موضع، وليّنة في موضع آخر وذلك إذا رُفّه عنها[65] فصارت نفساً[66].

17. البحّة:

وهي صفة انفرد بها صوت الحاء، ذكر الخليل أنّه لولا بحّة في الحاء، لأُشبهت الهاء[67]. وكذا ذهب ابن جنّي[68]. وربما يعني بالبحّة الاحتكاك من مخرج الهاء الرخوة فصارت حاء.

18. النصاعة:

الناصع من الأمر هو: البيّن أو الخالص[69]، وصف الخليل العين بأنّه أنصع من الحاء[70]؛ لأنّه أبينهما سمعاً، وأخلصهما صفة. عند تحييده لصفات بعض الحروف.

19. البينية:

وهي الأصوات التي بين الشدّة والرخاوة، وقد أشار إليه سيبويه صراحة على صوت العين، وبشكل غير صريح على اللام والميم والنون والراء[71]، وأضيف بعده الألف والياء والواو.[72]

20. الصلابة والكزازة:

وهي صفة تفرّد بها الخليل لصوتي الطاء والصاد؛ إذ قال: "إنّ الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها.... وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذالك"[73]؛ أي أنّ السين لانت عن صلابة الصاد وكزازتها وارتفعت عن خفوت الزاي على حدّ قوله. وإذا أراد بخفوت التاء همسها، فإنّ هذا القياس للسين بالنسبة إلى التاء يكون للزاي وليس للسين؛ لأنّ على هذا القياس فإنّ الزاي لانت عن صلابة الصاد وكزازتها وارتفعت عن خفوت السين بسبب همس الأخيرة وجهر الزاي. ومن جهة أخرى فإنّ الهمس على هذا الأساس يسبب خفوت الصوت وليونته. ومن هنا يمكن أن نستخلص توصيف آخر عند الخليل للأصوات وهو:

21. الصلابة والليونة:

أمّا بعض الأصوات، فيصفها بالصلابة، وهي أحرف الإطباق؛ لما فيها من الصلابة والشدة، وبعضها يصفها بشيء من الليونة وهي الدال والزاي مقارنة بسابقاتهما[74]، وأمّا أصوات اللين، فقد سبق الحديث عنها في موضعه.

22. الخفوت والارتفاع:

وبعضها خافتة وهي أصوات الهمس، وبعضها مرتفعة عن السابقة وهي أصوات الجهر. كما تبيّن لنا من الموازنات السابقة للخليل.

ب. صفات الأصوات عند المحدثين:

1. الجهر والهمس:

ظلت الدراسات الحديثة تحوم حول تعريف سيبويه للصوت المجهور فضلّت، إذ لم تزده بعضها إلاّ غموضاً، وبعضها كان منقوصًا، وخلصت تلكم الدراسات إلى أنّ معيار جهر الصوت وهمسه تذبذب الأوتار الصوتية أو عدم تذبذبها في أثناء النطق بالصوت.[75] إلى أن جاءت دراسة إلى النور قام بها صالح سليم الفاخري فأزالت غموضه، وبيان ذلك أنّ ما عبّر عنه سيبويه بإشباع الاعتماد في موضعه في تعريفه للمجهور، إذ قال: "المجهور هو حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[76]، يعني الانسداد الذي يحدث أسفل الحنجرة بغضّ النظر عن اهتزاز الأوتار الصوتية. وتفصيل الأمر "أنّ المجهور عند مباشرة النطق بالتحام العضوين به أو اقترابهما في النقطة التي يتكوّن فيها يحدث انسداد على نحو تام أو ناقص في أقصى الحلق بمفهوم المتقدّمين، وفي أسفل الحنجرة بمفهوم المحدثين، يمنع النفس من الدخول إلى الفم فترة من الزمن، ثمّ ينطلق

الصوت، وينفتح ما كان مسدوداً أسفل الحنجرة، والانسداد الذي حدث أسفل الحنجرة هو ما عبّر عنه سيبويه بإشباع الاعتماد في موضعه، والموضع هو النقطة التي يتجمّع فيها الهواء أسفل الحنجرة قبل أن يدخل إلى الفم".[77] وعلى أساس هذه الدراسة فإنّ القاف والهمزة هي حقّاً مجهورة كما أثبتت الدراسات القديمة، وهذي الأصوات هي، الباء، الميم، الواو الصامتة، الذال، الظاء، الدال، الضاد، الزاي، اللام، الراء، النون، الجيم، الياء الصامتة، الغين، العين، والقاف والهمزة. وبذلك تكون القاف والهمزة قد عادتا بعد غياب إلى عائلتهما المجهورة بعد أن ظلاّ زمناً مع المهموسات، بحجّة أنّ التطوّر نال منهما.

وعدم إغلاق فتحة الحنجرة يكون النفس ينساب بحريّة من دون تزاحم يذكر للهواء أسفل الحنجرة؛ بسبب ابتعاد الوترين الصوتيين إلى أن يصل إلى موضع الصوت أي مخرجه، فيكون بذلك الصوت مهموساً، وهي الفاء، الثاء، التاء، الطاء، السين، الصاد، الشين، الكاف، الخاء، الحاء، والهاء، واختلف المحدثون في الهمزة بين همسها، وبين القول لا هي بالجهرية ولا هي بالمهموسة، وعدم اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالقاف أوردها المحدثون مع الأصوات المهموسة، في حين أنّ الدراسات الحديثة أثبتت جهرها، كما بيّنا[78].

2. الانفجار والاحتكاك والتوسّط والتركيب:

أمّا الانفجار، فهو "أن يُحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تامًّا في موضعاً من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثمّ يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة. فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً."[79] وهذي الأصوات هي، الباء، الضاد، الدال، الطاء، التاء، الكاف، القاف، الهمزة. وتسمّى أيضاً الوقفات الانفجارية.[80]

أمّا الاحتكاك، فهو "أن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع ويمرّ من خلال منفذ ضيّق نسبيًّا يحدث في خروجه احتكاكاً مسموعاً."[81] وذي

الأصوات هي، الفاء، الثاء، الذال، الظاء، السين، الزاي، الصاد، الشين، الخاء، الغين، الحاء، العين، والهاء. وأمّا التوسّط فهو المتوسّطة، أو المائعة أي بين الانفجار والاحتكاك، وهي اللام، الميم، النون، والراء.[82]

وأمّا التركيب، فهو المزدوج بين الانفجارية والاحتكاكية، ويسمّيها كمال بشر بوقفة احتكاكية، وهو صوت الجيم فقط.[83] ويسمّى أيضاً الصوت المعطّش.[84]

3. الإطباق والانفتاح:

والإطباق أن "ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متّخذاً شكلاً مقعّراً، كما يرجع إلى الوراء قليلا"[85]، وهذه الأصوات هي ، الصاد، الضاد، الطاء الظاء.[86] والانفتاح كلّ الحروف إلاّ أحرف الإطباق.

4. الاستعلاء والاستفال:

"وهو أن يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة؛ ليخرج الصوت غليظاً مفخّماً".[87] ويحدث الاستعلاء بارتفاع اللسان عند النطق لبعض أصوات الحلق إلى الحنك الأعلى من دون انطباقه كما في أصوات الإطباق، وهي القاف، الغين، الخاء.[88] وباقي الأصوات من الإطباق والاستعلاء تعدّ أصوات استفال، إذ يستفل اللسان نحو قاع الفم. ويتولّد عن الإطباق والاستعلاء أثر سمعي يُعرف بالتفخيم.

5. التفخيم والترقيق:

التفخيم هو "تقعّر مؤخّرة اللسان وارتفاعها نحو الطبق"[89]، ينجم عنه أثر سمعي مغلّظاً. وهذه الأصوات، الصاد، الضاد، الطاء، والظاء، القاف، الغين، الخاء. واللام والراء، في بعض حالاتهما. وتسمّى أيضاً أصوات الإطباق والتحليق،[90] وقد غلب مصطلح التفخيم على الراء والتغليظ على اللام.[91] وما عداها هي أصوات الترقيق.[92] وتهتمّ الدراسات الحديثة بتأكيد سمة

التفخيم لبعض أصوات التفخيم على أنّه فونيم فوق التركيب[93]، إذ لهذه الأصوات نظائر مرقّقة تختلف عنها في المعنى، نحو طاب وتاب، ظلّ وذلّ، صبر وسبر، ضرب ودرب. أمّا أصوات التفخيم الأخرى من غير الإطباق، وهي القاف والغين والخاء واللام والراء، فليس لها نظائر مرقّقة تخالفها في المعنى؛ لذا فإنّه يُتساهل في ترقيقها[94]. وربما يكون في تفخيمها دلالات بلاغية، إذ يضفي على الكلمة معنى القوّة والعظمة في مواضعها كاللام في لفظ الجلالة (الله)، والراء في لفظة (ربّي)، والقاف في لفظة (القوّة)، والخاء في لفظة (خطر). فالتفخيم عند المحدثين تشمل أصوات الاستعلاء والإطباق، والترقيق ما دونها.

6. الذلاقة والإصمات:

أصوات الذلاقة في العربية، فهي "خفّة في النطق وحسن انشراح فيه وكثرة امتزاج بغيرها"[95]، وهي الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، والإصمات ما دونها. وقلّ استخدام المحدثين لهذين المصطلحين، وكثر دورانهما في كتب القراءات والتجويد[96].

7. الصفير:

"وهو شدّة وضوح الصوت في السمع بسبب الاحتكاك الشديد في المخرج".[97] وأصوات الصفير هي، الصاد، الزاي، السين.[98] التي يسمّيها إبراهيم أنيس الأصوات الأصلية؛ لأنّ الصفير فيها أبلغ ما يكون، غير أنّ الصفير صفة أطلقها المحدثون بالإضافة إلى السابقة على الثاء، الذال، الشين، الظاء، الفاء؛ لأنّها تحدث حفيفاً أو صفيراً ضعيفاً أو عالياً.[99]

8. التكرير:

هو صفة تفرّد بها صوت الراء سمّي كذالك؛ لأنّ اللسان يتكرّر في موضعه عند النطق بها.[100] وحذّر المحدثون من المبالغة في عدد ضربات اللسان؛ حتّى لا تكون راء مضعّفة.[101] وإنّما تكون بضربتين أو ثلاث.[102]

9. الجانبية:

وهو صوت اللام؛ لنزوح الهواء اللازم لنطقه من موضعه إلى جنبي اللسان، وانفرد بها صوت اللام فقط[103]. على أنّ بعض المحدثين يرى أنّ الضاد القديمة هي الأخرى جانبية، ويحتمل أن تكون هذه الضاد عبارة عن صوت اللام المفخّم[104]، وهو احتمال ضعيف؛ إذ لو كان الأمر كذلك، لورد ذكر اللام في موضع النظائر المفخّمة للأصوات المرقّقة في كتب القدماء، كما ورد الطاء النظير المفخّم للتاء، والظاء النظير المفخّم للذال، والصاد النظير المفخّم للسين

10. التفشّي:

"هو انتشار النَّفَس في الفم عند النطق بالشين".[105] وهو عند المحدثين صوت الشين فقط.[106]

11. الاستطالة:

"وهي امتداد من أوّل حافة اللسان على آخرها عند النطق بالضاد"،[107] وهي صفة للضاد القديمة[108].

12. القلقلة:

"هي اضطراب الحرف وتحرّكه بحركة عند النطق به وهو ساكن حتّى تُسمع له نبرة قوية، وحروفه، ب، ج، د، ط، ق".[109] ويرى كمال بشر إخضاع الهمزة والقاف الحديثة والكاف والجيم القاهرية والفصيحة والطاء القديمة والحديثة والضاد الحديثة والدال والتاء والباء للقلقلة، على أنّ الشدّة تعدّ عنصراً مهمًّا للقلقلة التي هي جزء لا يتجزّأ من الأصوات الشديدة.[110]

13. البينية:

وهي تلك الأصوات التي بين الصوامت من ناحية التصنيف، وبين الصوائت من ناحية النطق والسمع، وهي اللام، والميم، والنون، والراء، وشبهها بالصوائت يكون من حيث سلاسة انطلاق الهواء بما يشبه النطق بالصوائت من ناحية، وجهرها جميعاً من ناحية ثانية، ما ينجم عمّا سبق تولّد الوضوح السمعي من ناحية ثالثة[111]. وهذا أهمّ ما تتسم به الصوائت عن الصوامت.

14. اللين:

أصوات اللين في نطقها "يندفع الهواء من الرئتين مارّاً بالحنجرة، ثمّ يتّخذ مجراه في الحلق والفم في ممرّ ليس فيه حوائل تعترضه"[112]. وهي بهذا التعريف عند بعض المحدثين على نهج القدماء، إذ عدّ أصوات اللين هي الأصوات المصوتة أو الحركات الستّة، وهي الألف والفتحة الياء والكسرة، الواو والضمّة.[113] وعرّف بعضهم اللين أنّه عبارة عن "خروج الحرف من غير كلفة على اللسان"،[114] وهو صفة للواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما، وتسمّى أنصاف الصوامت،[115] وأنصاف الحركات[116].

15. الحركات (المدّ):

الحركات أو المدّ صفة الألف، والواو الساكنة والمضموم ما قبلها، والياء الساكنة والمكسور ما قبلها.[117] وتسمّى الحركات الطوال، ويُطلق على الفتحة والضمّة والكسرة الحركات القصار،[118] ويسمّيها بعضهم العلل أو المصوتة أو الصائتة.[119]

نتائج الدراسة:

1. اختلف المحدثون عن القدماء في اصطلاح الشدّة والرخاوة؛ إذ اشتهر عندهم الانفجاري أو الوقفي بدلاً من شديد، واحتكاكي بدلاً من رخو.

2. عدّ المحدثون الجيم صوتاً مركّباً، إذ يبدأ شديداً وينتهي رخواً، وعدّه القدماء صوتاً شديداً.
3. استحدث المحدثون مصطلح البينية ليعني الأصوات التي بين الصوامت والصوائت، وهي اللام، والميم، والنون، والراء. ويعني به القدماء بين الشدّة والرخاوة.
4. أكّدت الدراسات الحديثة أنّ العين صوت رخو، وهي عند سيبويه ومن تبعه صوت متوسّط بين الشدّة والرخاوة، وقد يكون سببه التطوّر التأريخي لهذا الصوت، وما يؤيّد ذلك نطق بعض مناطق العراق له شديداً أو مركّباً بين الشدّة والرخاوة. أو يكون سببه عدم توخّي سيبويه الدقّة في وصفه له، لاسيّما أنّ نسبة رخاوته تكون الأقل من بين الأصوات الرخوة الأخرى، كما أثبتت الدراسات الحديثة[120].
5. الطاء والقاف عند المحدثين مهموستان، وكذاك الهمزة عند بعضهم، وهي عند القدماء مجهورة، اختلاف أرجأه الكثيرون إلى التطوّر الصوتي الذي جرى عليها. لكنّ الدراسة الحديثة أرجأت الأمر فيها إلى غير ذلك، إذ إن صفة "الجهر عند سيبويه محقّقة بفعل ما يحدث أسفل الحنجرة من غلق أو تضييق ينتج عنه ارتكاز، وكأنّ الصوت المجهور، وهو يستعدّ للخروج، يرتكز في ذلك الموضع بغضّ النظر عمّا يحدث للوترين الصوتيين من تذبذب أو عدمه، فإن حدث تذبذب في أثناء تلك العملية فبها، وإلاّ فإنّ الجهر ماض؛ لأنّ أساسه قائم من دون ذلك، والذي دفعنا إلى هذا أنّ بعض الأصوات نصّ سيبويه على جهرها، وهي الهمزة والقاف والطاء، ونصّ المحدثين على همسها، فإذا ربطنا ما يحدث أسفل الحنجرة بتذبذب الوترين الصوتيين، فإنّ هذا التذبذب لا يحدث مع هذه الأصوات".[121] أي أنّ الجهر ليس ناجماً عن تذبذب الأوتار الصوتية، بل التذبذب أمر ناتج عن الجهر الذي يسببه الإغلاق في أسفل الحنجرة. أمّا الهمس، فهو على العكس من ذلك، "أي أنّ النفس لا

يحدث له تزحم كبير أسفل الحنجرة، وذلك بسبب انفتاحها، لابتعاد الوترين الصوتيين أحدهما عن الأخر ... ويكون النفس ينساب بحرية من فتحة الحنجرة، وهذا عكس المجهور).[122]

6. الضاد في الدراسات الحديثة له نظير مرقّق وهو الدال، وعند القدماء ليس له نظير مرقّق، لاختلاف مخرج الضاد الحديثة عن القديمة.
7. اختصر المحدثون الإطباق والاستعلاء في مصطلح واحد وهو التفخيم، وعند القدماء كلّ قائم بذاته.

هوامش البحث:

1. ينظر العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرّائي، تص: أسعد الطيّب، انتشارات أسوه، التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ط: 1، 1414هـ، 1: 53.
2. ينظر أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تح: طه عبدالرؤوف سعد، الجزيرة للنشر والتوزيع، 2007م: 131، 132.
3. ينظر العين للخليل، 1: 52، 53.
4. ينظر السابق،1: 55.
5. ينظر سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جنّي، تح: محمّد حسن محمّد إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 2، 2007م ، 1: 76.
6. الكتاب، سيبويه، تح: عبدالسلام هارون، دار الجيل، لبنان – بيروت، ط: 1، 4: 434.
7. ينظر المصر السابق،الموضع نفسه.

8 . ينظر السابق، الموضع نفسه.

9 . ينظر السابق، الموضع نفسه.

10. ينظر تفاصيل الأمر: 9 من هذا البحث.

11. الكتاب لسيبويه، 4: 434.

12. ينظر السابق، الموضع نفسه.

13. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 75.

14. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 435.

15. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 76.

16. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 436.

17. ينظر السابق، الموضع نفسه.

18. ينظر السابق، 4: 128، 129، 130.

19. ينظر السابق، 4: 130.

20. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 76.

21. الكتاب لسيبويه، 4: 174.

22. السابق، الموضع نفسه.

23. ينظر السابق، الموضع نفسه.

24. ينظر السابق، 4: 464. و شرح شافية ابن الحاجب في علم الصرف، أبو الفضل رضي الدين محمّد بن الحسن الاستربـاذي، تح: محمّد نور الحسن، ومحمّد الزقراف، ومحمّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة ــ مصر ، 3: 258.

25. العين للخليل، 1: 46.
26. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 78.
27. ينظر العين للخليل، 1: 47، 57.
28. جمهرة اللغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي، تع: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط: 1، 2005م، 1: 22.
29. ينظر سرّ صناعة الإعراب لابن جني، 1: 78.
30. العين للخليل، 1: 48.
31. ينظر السابق، مادة صتم.
32. ينظر شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي، 3: 258.
33. الكتاب لسيبويه، 4: 432.
34. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 64.
35. النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمّد بن محمّد الدمشقي ابن الجزري، تص: علي محمّد الضبَاع، دار الفكر، من دون طبعة، 2: 90.
36. ينظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 1: 202. والكتاب لسيبويه، 1: 448. والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبدالعزيز الصيغ، دار الفكر، ط: 2، 2007م: 149.
37. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 2: 90.
38. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 435. والأصول في النحو، أبو بكر محمّد بن سهل بن السرّاج النحوي البغدادي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، ط: 1، 1985م 3: 403.

39. الكتاب لسيبويه، 4: 433.

40 . ينظر السابق، 4: 430.

41. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 61.

42. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 435.

43. ينظر السابق، 3: 426.

44. ينظر السابق، 4: 436.

45. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبدالله علي الكبير، وآخرون، دار المعارف، القاهرة ــ مصر، ط: 3، مادة خفا.

46. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 76.

47. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 435.

48. ينظر العين للخليل: 1: 53.

49. ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة شفأ.

50. ينظر علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، علي حسن مزبان، دار شموع الثقافة، الزاوية ــ ليبيا، ط: 1، 2003م: 28.

51. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 1: 205.

52. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 230.

53. ينظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري، 1: 205.

54. ينظر المقتضب، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت ــ لبنان، 1: 211. وشرح شافية ابن الحاجب، 2: 940.

55. النشر في القراءات العشر لابن الجزري،1: 205.

56. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 448.

57. ينظر العين للخليل،1: 47، 53.

58. ينظر شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي، 3: 258.

59. ينظر العين للخليل،1: 48.

60. ينظر السابق، الموضع نفسه.

61. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 181، 436.

62. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 78.

63. لسان العرب لابن منظور، مادة هتت.

64. ينظر العين للخليل،1: 49.

65. ينظر السابق،1: 47.

66. ينظر السابق، مادة هتّ، 3: 1864.

67. ينظر السابق،1: 53.

68. ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، 1: 254.

69. ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة نصع.

70. ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ش: محمّد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل ــ دار الفكر، بيروت ــ لبنان، 1: 90.

71. ينظر الكتاب لسيبويه، 4: 435.

72. ينظر سر صناعة الأعراب لابن جني، 1: 75.
73. ينظر العين للخليل، 1: 48.
74. ينظر السابق، الموضع نفسه.
75. ينظر علم اللغة العام، القسم الثاني الأصوات، كمال بشر، دار المعارف، القاهرة ــ مصــر، 1970م، 109، 110. والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبــة الأنجلــو المصــرية، 2007م: 22، 24،23.
76. الكتاب لسيبويه، 4: 434.
77. مخارج أصوات العربية وصفاتها، صالح سليم الفاخري، حولية المجمع، مجلة مجمع اللغــة العربية الليبي ــ طرابلس، 2007م، العدد 5: 88، 89.
78. ينظر السابق:90، 91.
79. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، الفجالة ــ القاهرة، 2000م: 247 .
80. ينظر السابق الموضع نفسه.
81. ينظر السابق: 297.
82. ينظر فصول في علم اللغة، علي حسن مزبان، دار شموع الثقافة، الزاوية ــ ليبيــا، ط: 1، 2007م: 36.
83. ينظر علم الأصوات لبشر: 311.
84. ينظر فصول في علم اللغة لمزبان: 36.
85. ينظر الأصوات اللغوية لأنيس: 48.
86. ينظر في اللسانيات ونحو النصّ، إبراهيم خليل، دار المســيرة، عمّــان ــ الأردن، ط: 1، 2007م : 42.

87. العربية وعلم اللغة الحديث، محمّد محمّد داود، دار غريب، الفجالـــة ــ القـــاهرة، 2002م: 126.

88. ينظر السابق: 126.

89. ينظر علم الأصوات اللغوية، مناف محمّد الموسوي، منشورات جامعة السابع مـــن أبريـــل، الزاوية ــ ليبيا، ط: 1، 1993م: 57.

90. ينظر دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ــ مصـــر، 1997م: 326.

91. ينظر الأصوات اللغوية لأنيس: 65.

92. ينظر علم الأصوات لبشر: 400.

93. ينظر دراسة الصوت اللغوي لعمر: 334.

94. ينظر السابق: 326.

95. فصول في علم اللغة لمزبان: 37.

96. ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية للصيغ: 204، 205.

97. العربية وعلم اللغة الحديث لداود: 128 .

98. ينظر الأصوات اللغوية لأنيس: 73.

99. ينظر السابق، الموضع نفسه.

100. ينظر السابق: 66.

101. ينظر العربية وعلم اللغة الحديث لداود: 128.

102. ينظر الأصوات اللغوية لأنيس: 66.

103. ينظر مناهج البحث في اللغة، تمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء ــ المغرب، 1986م: 156.

104. ينظر العربية الفصحى، هنري فلش، تر: عبدالصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ــ لبنان، ط: 1، 1966م:37. والتطوّر النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تر: رمضان عبدالتوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ــ دار الرفاعي بالرياض، 1982م: 19.

105. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين لمزبان: 28.

106. ينظر المصطلح الصوتي للصيغ: 182. وفصول في علم اللغة لمزبان: 39. والعربية وعلم اللغة الحديث لداود: 128.

107. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين لمزبان: 28.

108. ينظر فصول في علم اللغة لمزبان: 38.

109. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين لمزبان: 28. وعلم الأصوات لبشر: 378.

110. ينظر علم الأصوات لبشر:393 .

111. ينظر السابق: 358.

112. الأصوات اللغوية لأنيس: 28.

113. ينظر السابق: الموضع نفسه.

114. فصول في علم اللغة لمزبان: 38.

115. ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية، عبدالصبور شاهين، دار العلوم، القاهرة ــ مصر، ط: 1، 1977م: 31. وفصول في علم اللغة: 38.

116. ينظر علم اللغة العام الأصوات لبشر: 170.

117. ينظر علم الأصوات بين القدماء والمحدثين لمزبان: 24.

118. ينظر علم الأصوات لأنيس: 430.

119. ينظر مناهج البحث في اللغة لحسان: 136. وعلم الأصوات اللغوية للموسوي: 90.

120. ينظر الأصوات اللغوية لأنيس: 27.

121. مخارج أصوات العربية وصفاتها للفاخري: 90.

122. المصدر السابق: 90، 91.